

2020 - 2021: ما بعد سنة كورونا والانتخابات الأميركية

2020 سنة الكورونا بامتياز. الكورونا شخصية العام من دون منازع. العالم كله رزح وما زال تحت وطأة وباء قاتل قلب الحياة رأساً على عقب وخط أوراق الاقتصاد والسياسة. هذا الحدث الصحي الخطير والمخيف وغير المسبوق، لا يلغي ولا يطمس أحداثاً أخرى مهمة كان لها ابلغ الاثر في العلاقات والمسارات الدولية

كورونا وما بعده سيكون مختلفاً عن عالم ما قبل كورونا، وسيشهد تغيرات في الانظمة والاضاع الداخلية وفي العلاقات والسياسات الدولية، وحتى في انظمة الحياة والمجتمعات والعلاقات الاجتماعية. عالم سيكون اقل انفتاحاً واقل حرية وأكثر انغلاقاً وأكثر فقراً مع سياسات اكتفاء ذاتي وانكفاء على الداخل.

الانتخابات الأميركية

وباء كورونا كان العامل الاساسي المؤثر في الانتخابات الأميركية، وساهم في احداث تحول في مسارها. فبعدها كانت هذه الانتخابات شبه محسومة لمصلحة ترامب، دخلت جائحة كورونا على المشهد والمعادلة في البازار الانتخابي، وبدلت شروط اللعبة. فرضت على ترامب اعباء جديدة وحملته نتائج وانتقادات قاسية بسبب سوء اداء ادارته خلال ازمة كورونا، وخفضت من حظوظه وفرصه للفوز وافاق اعادته انتخابه مع ارتفاع حصيلة القتلى والتأثير المدمر على الاقتصاد.

بعدها كان قبل كورونا في وضع مريح ومتقدم بفعل قوة الاقتصاد الأميركي، اقوى ورقة انتخابية وشعبية، وبفعل الانجازات الخارجية المتسارعة الذي حققها منذ مطلع هذا العام (اغتياي سليمان - اعلان صفقة القرن - الاتفاق مع طالبان)، حصل تغيير في مسار السباق الرئاسي اوصل جو بايدن الى البيت الابيض. في انتخابات حطمت ارقاماً قياسية في المشاركة، اضاف ترامب الى رصيده 7.3 ملايين صوت مقارنة بالعام 2016. يمكن ان يطرح ترامب نفسه قائداً فعلياً للحزب، ولديه عدد هائل من الانصار الذين سيبقى في نظرهم بطلاً. الاكيد ان اميركا تغيرت خلال ولايته، ومن المرجح ان تستمر ظاهرة الترابية حتى

الصين، لكنها سرعان ما انتشرت مثل نار في الهشيم في كل العالم مع تفشي وباء كورونا الذي لم يوفر بلداً ولم يميز بين دول واعراق واديان، وصنف من منظمة الصحة العالمية وباء عالمياً وعدوا للبشرية، ناشرا القلق والخوف والهلع في المجتمعات والشوارع، وفي الشركات والاسواق المالية والاقتصادية. الزمن توقف ومعه دورة الحياة. المدن الكبرى المفعمة بالحركة والحيوية تحولت مدن اشباح. الدول الكبرى المتمتعة بقدرات وامكانات هائلة باغتتها هذا التحدي وكشف عن قصور لديها في نظامها الصحي، وعن عدم جهوز لمواجهة تداعياته المالية والاقتصادية الهائلة. كل الحركة العالمية والمؤتمرات والانشطة على انواعها توقفت وارجئت او حبست في عالم افتراضي. بدا واضحاً ان المشهد في العالم انقلب رأساً على عقب، وعالم

الحدث السياسي الاهم على مستوى العالم يبقى الانتخابات الأميركية التي طوت صفحة الرئيس دونالد ترامب. على مستوى المنطقة، كان التطبيع الاسرائيلي - الخليجي هو الحدث السياسي الابرز. اما الحدث الامني فكانت ايران مركزاً له، وهي التي تلقت ضربتين قويتين: الاولى في مستهل العام عندما اغتيل اللواء قاسم سليماني في قلب بغداد، والثانية في نهايات العام عندما اغتيل العالم الايراني النووي محسن فخري زاده في قلب ايران. في ما يلي خارطة ابرز الاحداث الإقليمية والدولية والمتغيرات والنقاط الساخنة لعام 2020.

كورونا

بدأ العام 2020 مع تطور صحي فاجاً الجميع وقض مضاجع الدول. الشرارة انطلقت من



مشروع اردوغان التوسعي الطموح الذي تمدد من سوريا الى ليبيا، ومن شمال العراق الى قطر، وتوجه الى اذربيجان التي تلقت دعماً حاسماً في معركة ناغورني قره باغ. لكن التركيز التركي هذا العام كان في شرق البحر المتوسط الذي يضم ثروات هائلة من الغاز والنفط، والذي اصبح مركز الصدام والمواجهة بين تركيا والاتحاد الاوربي.

يمكن فهم الموقف الاوربي في سياق التحالفات الموجودة في المنطقة من اجل تقسيم ثروات شرق المتوسط على الدول بما يتوافق مع القانون الدولي، وهو ما يفسر التحالفات القائمة في منتدي غاز شرق المتوسط.

على الرغم من التشدد الاوربي، يبدو واضحاً ان المسؤولين الاوربيين لا يريدون قطع شجرة معاوية مع تركيا، خصوصاً ان تركيا هدّدت سابقاً بانه في حال فرض عقوبات عليها فان ردها سيكون قوياً، ما يستبطن اللجوء الى وسائل الردع التركية التي يتخوف منها الاوربيون واولها ملف اللاجئين. بيد ان عاملاً آخر يمكن ان يكون عوناً للاوربيين ويجنبهم الاحراج، عنوانه الدخول الأميركي المتأخر على خط الوساطة بين تركيا واليونان، ومن خلفية تحميل تركيا مسؤولية التصعيد والاستفزاز.

لكن لم يعد في وسع الاوربيين التهرب من مسؤولياتهم وتأجيل اتخاذ القرارات الموجهة بحق تركيا اي العقوبات، اما سعياً وراء كسب مزيد من الوقت، واما خوفاً من ردود الافعال التركية، او حرصاً على عدم الابتعاد من المواقف الأميركية من هذه المسألة. فلا يمكن للاوربيين ان يتجاهلوا التصعيد السياسي والديبلوماسي والعسكري الذي تسببت به الممارسات التركية، ليس فقط عمليات التنقيب ولكن ايضا المناورات العسكرية البحرية والجوية والتصريحات النارية للرئيس اردوغان.

التطبيع الاسرائيلي - الخليجي

شهدت بدايات العام 2020 الاعلان الرسمي عن صفقة القرن او خطة السلام الأميركية. فقد شكلت صفقة القرن منذ اعلانها معطى جديداً على ساحة الشرق الاوسط ونقطة تحول في السياسة الأميركية حيال الصراع

بعد خروجه من البيت الابيض بما قد يهدد وحدة الحزب الجمهوري. ربما يتلاشى ترامب تدريجاً وينزوي في الظل السياسي كما حصل مع كل الرؤساء الأميركيين. لكن حتى لو حصل ذلك، فان ندوب هذه الفترة المضطربة واثارها في التاريخ الأميركي لن تختفي ابداً.

خاض الرئيس المنتخب جو بايدن مبارزة طويلة وقاسية مع ترامب باسلوبين ومشروعين وقاموسين مختلفين، بحيث بدا ترامب اشبه بعاصفة هبت على اميركا من خارج المألوف والقاموس العادي لرؤسائها، في حين بدا بايدن وريثاً للتقاليد وحرصاً على المؤسسات. بايدن الذي ايقن ان اميركا تغيرت مع ترامب سيكتشف انه رئيس اميركا التي تغيرت في عالم متغير ايضاً. مرور ترامب في السياسة الأميركية والبيت الابيض لم يكن عابراً، والاصوات التي حصدها تشير الى ذلك. ليست سهلة ازالة اثار الترابية التي يتحدث عنها كثير، خصوصاً انها كشفت تمزقات عميقة في المجتمع الأميركي. وصول بايدن الى البيت الابيض من شأنه ان يحدث عملية اعادة خلط للورق الخارجية: الاولويات والعلاقات والسياسات والمقاربات والاساليب. في اوربا هناك تطلع الى اعادة بناء العلاقات بين ضفتي الاطلسي واصلاح ما افسده وخربه ترامب. في ايران هناك ترقب لتصحيح اخطاء ترامب ورد الاعتبار للاتفاق

النووي. في الخليج ثمة شعور بالقلق لدى قادة الدول الذين ينظرون الى ترامب على انه عمل لحماية اهم مصالحهم الاقليمية من خلال فرض حملة ضغوط قصوى من العقوبات على ايران. حالياً يشعرون بالقلق من ان ادارة بايدن ستتخلى عن هذه الامور من خلال التراجع عن العقوبات ضد ايران والعودة الى الاتفاق النووي.

اجملاً، هناك امل في ان يصلح بايدن على الاقل اكثر ما افسدته حقبة ترامب. لكن على الرغم من ذلك، من غير المحتمل ان تكون هناك عودة كاملة الى الوضع السابق والى ايام الرئيس باراك اوباما.

التوتر الاوربي - التركي

لا يمكن فصل التوتر الاوربي - التركي الذي وصل في العام 2020 الى نقطة الذروة، عن



ظاهرة الترابية باقية في اميركا ووصول بايديه خطط الوراثة الخارجية



الامور ستتغير في الشرق الاوسط، وخصوصا في الملف الاسرائيلي - الفلسطيني، ولن تبقى على حالها وكما كانت في عهد الرئيس ترامب. فها هي السلطة الفلسطينية تعلن استئناف التعاون الامني والمالي مع اسرائيل، وتتلقى بارتياح اشارات من فريق بايدن تفيد باستئناف العلاقة الاميركية مع السلطة والاستعداد لفتح مكاتبتها المغلقة في واشنطن. وها هي اسرائيل تتحسب لاحتمال حصول تغيير وتحويل في مسار خطة السلام الاميركية، او ما سمي صفقة القرن، في اتجاه العودة الى احياء المفاوضات الفلسطينية - الاسرائيلية وعلى اساس حل الدولتين.

مع خسارة ترامب في انتخابات الرئاسة، اصيبت صفقة القرن بانتكاسة كبرى، فكل هذه الدينامية التي اوجدها ترامب مهددة بالتوقف الان. واذا كان فوز بايدن جاء مثابة طوق نجاة للسلطة الفلسطينية، فانه وجه ضربة موجعة الى تننياهو وعمق مأزقه ووضع في دائرة الخطر في رابع انتخابات مبكرة يمكن ان تجري في اسرائيل خلال عامين. كل ذلك لا يعني ان المسار الاسرائيلي - الفلسطيني عائد الى ما كان عليه قبل ترامب وقبل العام 2016، او ان بايدن سيمحو تركة ترامب وارثه الاسرائيلي. فهناك امور واوضاع تتركست واصبحت امرا واقعا، وما اخذته اسرائيل بات لها، من قدس وجولان وتطبيع وضم. الهامش الذي سيتحرك بايدن من ضمنه محصور في العودة الى المسار التقليدي الكلاسيكي المدعوم اوروبيا، والمحدد في استئناف المفاوضات بين الاسرائيليين والفلسطينيين على اساس حل الدولتين. لكن من قال ان اسرائيل توافق على استئناف المفاوضات على هذا الاساس؟

على الارجح تكتفي بما تحقق مع ترامب وما اخذته في ولايته الاولى. ربما لا يشعر الاسرائيليون بالاسى والاحباط لمغادرة ترامب لانهم اخذوا افضل واقصى ما يمكن، وكان عليهم في الولاية الثانية لو عاد ترامب ان يعطوا في المقابل. أليس من المفارقة ان اكثرية اليهود الاميركيين (65 في المئة) صوتوا لمصلحة بايدن، مع ان ترامب يعد بالنسبة الى اسرائيل افضل رئيس اميركي على الاطلاق؟

ووفت بالتزاماتها. مع ذلك، تم شطب ما جرى التوصل اليه بجرّة قلم من ترامب، ولا شيء يضمن ان لا يتكرر ذلك. لذلك ستتعامل القيادة الايرانية بحذر مع بايدن، وقد تستجيب ايران طلب استئناف الحوار، لكنها ستضع المزيد من الشروط وتطالب بتعويضات وضمانات اضافية. اضافة الى ذلك، تتعرض الولايات المتحدة لضغوط هائلة من حلفائها في المنطقة، ليس للحد من طموحات ايران النووية فحسب، وانما ايضا للحد من نفوذها الاقليمي، وهو اقتراح رفضت طهران التفاوض عليه. وعلى الرغم من ان (وزير الخارجية الجديد) انتوني بلينكن اكد ان بايدن سيعود الى الاتفاق النووي، شدد ايضا على ان الولايات المتحدة ستفاوض على صفقة اطول واغوى، بالتنسيق مع شركاء وحلفاء الولايات المتحدة في الشرق الاوسط. في حين صرح مستشارون اخرون ان ادارة بايدن لن تنضم مرة اخرى الى الاتفاق النووي من دون اجراء تعديلات كبيرة عليه.

سؤال ثان مطروح في المنطقة، من خارج ملفات وازمات ليبيا وسوريا والعراق واليمن ولبنان، المتناقلة بخطى متسارعة من عام الى عام: ماذا عن صفقة القرن وما مصيرها بعد ترامب؟

ظهرت سريعا المؤشرات التي تدل الى ان



الحساسة بما فيها الملف النووي الايراني قبل انقضاء 6 الى 12 شهرا. بالتالي، فان الهامش المتاح لتحقيق خرق دبلوماسي مع ايران سيكون ضيقا ومحكوما بعوامل وعقبات مختلفة:

- اجماع شبه مطلق من معظم النخب السياسية الاميركية، بما في ذلك اعضاء الكونغرس، لمنع ايران من تطوير قدراتها مع اختلاف الطرق ووسائل مواجهتها، ما يعني ان بايدن سيضطر الى الدخول في جولات طويلة من التفاوض مع الكونغرس لاقتناعه باعادة احياء الاتفاق النووي.

- العقوبات الاميركية ضد ايران لن تتغير، لان مجلس الشيوخ بقي تحت سيطرة الجمهوريين وقد يعقد التواصل الدبلوماسي مع ايران، وهذا سيقيد بشكل اساسي خيارات بايدن. ترامب لم يخرج اميركا من الاتفاق المنجز فقط، لكنه ايضا قضى على فرصة العودة مستقبلا الى الاتفاق ذاته، او اي اتفاق ذي مضمون حقيقي.

- سيكون من الصعب جدا، ان لم يكن مستحيلا، على الثنائي روحاني - ظريف اعادة اقتناع الداخل بأن الاتفاق القديم سيكون قادرا على حفظ مصلحة ايران القومية. هناك اجماع وطني في ايران على ان الجمهورية الاسلامية ادت ما عليها بموجب الاتفاق



المساكنة الى ضفة المواجهة التي بلغت نقطة اللاعودة مع الاغتيال المدوي للواء قاسم سليماني قائد المشروع الايراني ومحور المقاومة في المنطقة. هذه العملية تبناها ترامب ليضع ايران بطريقة استفزازية امام اقوى تحد، بين ان ترد وتنقذ هيبتها ومصداقيتها ومعنويات حلفائها في المنطقة، وبين ان تعض على الجرح وتتفادى حربا واسعة ومكلفة وتمارس سياسة الانتظار والصبر الاستراتيجي الى حين يتقرر مصير ترامب في انتخابات تشرين. هذا ما حصل، وكسبت ايران الرهان على الانتخابات الاميركية ووصول بايدن الى البيت الابيض، وهو الذي كان من مهندسي الاتفاق النووي وكان ولا يزال من محبذي خيار الانفتاح على ايران والتعاطي معها بايجابية ومرونة، ومعالجة المشكلة معها بالطرق السياسية والحوارية.

من الاسئلة المحورية التي تطرح بقوة بعد الانتخابات الاميركية ومع مستهل العام الجديد: ما هو مستقبل العلاقة بين ايران واميركا، وما هو مصير الاتفاق النووي؟

في الواقع، هناك تحديات كبيرة في انتظار بايدن، لاسيما على صعيد الاوضاع الداخلية لانها ستستحوذ على اهتمام ادارته خلال الاشهر الستة الاولى من ولايته، ولن يكون هناك تحريك للمياه الراكدة في الملفات

الصراع الاسرائيلي - الفلسطيني شرط مسبق لتطبيع العلاقات. لكن الطريق الذي شقته الامارات سيساهم بلا شك في تعزيز التقارب السعودي - الاسرائيلي، في ظل تحالف المحمدين (بن زايد وبن سلمان) اللذين يركزان على العداء المشترك تجاه ايران، ومحاولات جذب استثمارات اجنبية لتمويل خطة التحول الاقتصادي، رؤية 2030.

على الصعيد الاستراتيجي، يضع الاتفاق قواعد اشتباك جديدة ويخلط موازين القوى في اتجاه ارساء معادلة اضافية. تعتبر ايران ان واشنطن اختارت الامارات لاعتبارات ولغايات تحقق اهدافا استراتيجية للادارة الاميركية واسرائيل. فالامارات تقع على المنطقة الحدودية صفر بحرا مع ايران، وبالتالي نقل النفوذ الاسرائيلي الى الحدود الايرانية وفقا لمعادلة الوجود الايراني في سوريا، يقابله الوجود الاسرائيلي في الامارات. من هنا، يمكن تفسير تحذير ايران للامارات من العواقب الوخيمة لهذه الخطوة وتحميلها المسؤولية عن اي نتائج قد تترتب عن اي حادثة او وجود عسكري اسرائيلي في مياه الخليج.

المواجهة الايرانية - الاميركية مع ترامب انقلبت العلاقة بين ايران والولايات المتحدة رأسا على عقب، وانتقلت من ضفة

الفلسطيني - الاسرائيلي، وايضا في مجرى هذا الصراع لمجرد ان اسرائيل، وبغض النظر عن مصير هذه الخطة وما ستؤول اليه، ستعتمدها اساسا للتعاطي مع الفلسطينيين بعد اليوم، وستتعاطى مع كل مكسب فيها على انه بات امرا واقعا لا رجوع عنه. صفقة القرن شكلت نقطة تحول في السياسة الاميركية حيال الصراع الفلسطيني - الاميركي وفي مقاربة الحل النهائي لهذا الصراع، ومن خلفية الانحياز الواضح الى مصلحة اسرائيل. كما شكلت صفقة للامم المتحدة وتجاوزا لمرجعيتها وارثها وللقرارات الدولية.

صفقة القرن هي في الواقع صفقة. فترامب نظر الى الصراع في المنطقة وتعاطى معه من خلفية رجل اعمال ويلعب بشكل واضح وفاضح ورقة الاغراءات والحوافز المالية والاقتصادية. مهندسو صفقة القرن وواضعو تفاصيلها الدقيقة لا يظهرون اهتماما بمكونات الصراع وجذوره وابعاده التاريخية والدينية والاجتماعية. الماضي ليس مهما، المستقبل هو الاهم. الحقوق المشروعة ليست الاساس وانما النتائج والمكاسب، وبرزها ما يتعلق بالتطبيع بين اسرائيل والدول العربية ومستقبل العلاقات الاقتصادية بين اسرائيل ودول مجلس التعاون الخليجي.

التطبيع الاسرائيلي - الخليجي كان من اولي ثمار ونتائج صفقة القرن التي اطلقت معادلة التطبيع اولا، والتطبيع مقابل السلام لاحقا. البداية كانت مع التوقيع في البيت الابيض على اتفاقية التطبيع والسلام بين الامارات واسرائيل. هذا التوقيع اعتبر واحدا من ابرز الاحداث في الشرق الاوسط للعام 2020، وسيشجع جميع دول الخليج الاخرى على ان تحذو حذو الامارات، وتخرج بعلاقاتها السرية مع اسرائيل الى العلن، ومن بعد الامارات، كرت سبحة المتسابقين لعقد اتفاقيات السلام مع اسرائيل، بدءا بالبحرين (مرورا بالسودان) ثم المغرب وصولا الى السعودية. من الواضح ان الاميركيين يريدون انجاح الاتفاق، وهم معنيون بتوسيعه ليشمل دول عربية اخرى.

اتجهت الانظار الى المملكة العربية السعودية ذات الثقل الاقليمي الكبير، علما ان موقفها الرسمي يقوم على ان تسوية